جامــعة عين شمس

كلية الآداب

قسم الفلسفة

بحـــــث بعنوان

مفهوم العقل ومكانته في الفكر الأشعريّ

رسالة دكتوراه مقدَّمة من الباحث

نصر علي سعد الشتيوي

إشراف:

الأستاذ الدكتور: فيصل بدير عون

الدكتور: جمال المرزوقي

2013-2012

إهداء

إلى والدي الكريمين، حفظهما الله تعالى، وأحسن خاتمتهما، ورضي عنهما، وأرضاهما عني حق الرضا .

وإلى إخوتي الكرام .

وإلى زوجتي وأبنائي

وإلى من دعا إلى الفضيلة ونهى عن الرذيلة ، ونافح عن الدين والشريعة ، وإلى الساعين إلى الحق وإظهاره ، في كل مكان يعبد فيه الله ، إلى أمّة محمد صلّ الله عليه وسلم إينما وُجِدَت .

أهدي هذا العمل العلمي المتواضع

المحتـــويات

محتويات البحث	
المقـــــــــدمة:	8
المبحث الأول:مفهوم العقل ومكانته.	18
الفصل الأول: دلالات مفهوم العقل:	19
أولاً: الدلالة اللغـــــــوية.	19
ثانياً: الدلالة الاصطـــــــلاحية.	20
الفصل الثاني: **الدليل العقلي في العقائد وموقف الفرق الإسلامية منه.**	51
أولاً:حجية العقل عند أهل السنة.	56
ثانياً: حجية العقل والنقل عند المتكلمين.	59
الأدلة عند المتكلمين.	65
المعارض العقلي، أو تقديم العقل على النقل:	76
الآثار الناشئة عن الاختلاف في الاستدلال بالعقل:	82
أولاً: في أول ما يجب على المكلف.	82
ثانياً: في إيمان المقلد.	86
الفصل الثالث: جدلية العلاقة بين العقل والنقل:	90
الفصل الرابع: حدود النّظر العقلي:	127
المبحث الثاني: العقل ومشكلة الإلوهية عند الأشاعرة:	143
الفصل الأول: أدلة وجود الله سبحانه وتعالى:	144
مسلك أهل السنة في الاستدلال على وجود الله.	144

مسلك المتكلمون في الاستدلال على وجود الله.	146
الأدلة العقلية للاستدلال على وجود الله.	149
المسلك الأول: طريق الواجب والإمكان.	149
المسلك الثاني: الاستدلال بالجواهر والأعراض.	153
الأدلة النقلية على وجود الله عز وجل.	150
الفصل الثاني: مسألة الذات والصفات	169
تعريف الصفات.	169
موقف الفرق الإسلامية من الذات والصفات	174
الذات والصفات عند المعتزلة.	176
بيان حقيقة اتصاف الله تعالى بهذه الصفات عند المعتزلة:	178
الذات والصفات عند الأشاعرة.	186
معنى الصفة عند الأشاعرة.	187
أقسام الصفات عند الأشاعرة.	188
الصفات الثبوتية: (صفات الذات).	189
الصفات الفعلية: (الأفعال).	192
تحليل موقف الأشاعرة من صفات الله عز وجل	196
موقف أهل السنة من الذات والصفات	214
تأويل الصفات:	221
الفصل الثالث: مسألة رؤية الله	232
ماهية الرؤية عند الأشاعرة	232
إمكان الرؤية عند الأشاعرة	236

أدلة المعتزلة على إنكار الرؤية	237
الاستدلال بالنقل عند الأشاعرة	240
المبحث الثالث: العقل ومشكلة العالم عند الأشاعرة	252
الفصل الأول: مسألة قدم العالم وحدوثه.	253
قدم العالم بين الفلاسفة والمتكلمين.	257
نظرية الفيض عند الفلاسفة المسلمين.	258
موقف الأشاعرة من نظرية الفيض وقدم العالم.	264
أدلة الأشاعرة العقلية على حدوث العالم.	269
اعتراض الغزالي على أدلة الفلاسفة.	279
الفصل الثاني: أبدية العالم:	288
أبدية العالم عند الفلاسفة:	288
موقف الأشاعرة من أبدية العالم	295
المبحث الرابع: العقل والأخلاق عند الأشاعرة	308
الفصل الأول: الحريّة الإنسانية عند الأشاعرة:	309
مفهوم الحـرية	310
الحرية والمسؤولية عند المجبرة	314
المعتزلة والقول بالحرية	317
الأشاعرة والقول بالحرية	323
أدلة الأشاعرة	326
الاختيار والحريّة.	340
رأي أهل السنة في أفعال العباد.	342

الفرق بين الأشاعرة وأهل السنة.	343
الفصل الثاني: مسألة التحسين والتقبيح العقليين.	346
أولاً:معنى التحسين والتقبيح وتحديد محل النزاع.	346
الأقوال في مسألة التحسين والتقبيح:	354
القائلون بإمكانية إدراك العقل للحسن والقبح: (المعتزلة).	354
دوافع الأشاعرة لأنّكار التحسين والتقبيح العقليين	358
الفصل الثالث: القيمة الذاتية للحسن والقبح	366
معنى القيمة الذاتية للحسن والقبح عند المعتزلة	367
القيمة الذاتية للحسن والقبح عند الأشاعرة	371
علاقة الحسن والقبح بمسألة خلق أفعال العباد عند الأشاعرة	372
جواز إدراك العقل للحسن والقبح عند الأشاعرة	377
ما ترتب على القول بالتحسين والتقبيح العقليين.	385
أولاً : وجوب اللطف على الله تعالى	385
ثانياً: الصلاح والأصلح	392
ثالثاً: التكليف بما لا يطاق.	403
المبحث الخامس: مشكلة الإمامة والعقل عند الأشاعرة:	414
الفصل الأول: معنى الإمامة.	415
الفصل الثاني: وجوب الإمامة.	433
وجوب الإمامة عند أهل السنة والأشاعرة	433
وجوب الإمامة عند الشيعة الإمامية	440
الفصل الثالث: شـــروط الإمامة	446

شروط الإمامة عند أهل السنة والأشاعرة	446
شروط الإمامة عند الشيعة.	452
عصمة الأئمة.	453
الوصية.	460
خاتمة البحث.	471
قائمة المصادر والمراجع.	497

المقـــــــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسلِمون** ﴾ (سورة آل عمران، الآية، 102.)

{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** } (سورة الأحزاب، الآية 71.)

أما بــعد:

فإنَّ المحافظة على العقل من المقاصد العليا للشريعة الإسلامية، ولهذا نجد دعوة الإسلام العظيمة للاحتفاء به في مواضعَ عديدة من القرآن الكريم. ومن أجل هذا دعا الإسلام إلى تحطيم كل العوائق أمام العقل ، ونبذ التقليد الذي يعطل العقل عن أداء وظيفته . ووقف في مواطنَ كثيرةٍ عند إيراد آراء ومعتقدات أهل العقائد السائدة ، من نصارى ويهود ومجوس ودهريه وسواهم ، ثمّ عقّب عليهما معتمداً في ذلك أسلوب الحجة والبرهان ، وقد توخّي القرآن من وراء ذلك كله أن يجعل الأخذ بالعقيدة الإسلامية قائماً على الإقناع العميق وجدانّياً وعقليّاً ؛ لأنّ الارتباط بين حصول اليقين القلبي والإقناع العقلي هو أساس العقيدة ، وهو ما أفاده المنهج القرآني من جملة خطابه للعقل والقلب معاً.

قد تصوّر الكثير بأن الاعتماد على العقل في التشريع يفضي إلى نسخ الشريعة أو تعطيلها، ناهيك عن أن ذلك يثير في حدِّ ذاته الاختلاف لارتفاع الضوابط. وقديماً كان السلف يمتعضون من إبداء الرأي الذي فيه رائحة العقل والبعد عن النّص، بل ويتحفظون أحياناً حتى من الرأي الذي يضطرون إليه في إبداء الفتوى ، رغم أنه لا يستقل عادة عن النّص ، كالقياس مثلاً. وكان الإكثار

في الرأي مدعاة لإحجام الآخرين عن صاحبه ، كما هو معروف من موقف العلماء إزاء أبي حنيفة الذي اشتهر أنه يكثر العمل بالرأي.

إن الفقه الإسلامي نفسه ما كان له أن يكون فهماً حيوياً للنص لولا مدرسة أهل الرأي التي أسّست لصيغ عقلية ضمنت تحرر(العقل الفقهي) من الفهم الحرفي، والتي أرادت أن تضبط العلاقة بين النّص والواقع من خلال العقل. وقد تجلت حيوية فكر هذه المدرسة حين راحت تفترض حوادث لم تقع فعلياً، وأرادت أن تبحث لها عن أحكام وتشريعات. وإن كانت الغلبة النهائية هي لصالح تيار النقل، فإن هذا التيار لم يكن له أن ينتصر لولا استخدامُه للمنهج العقلي –ولو شكلياً– لإدراكه أنه لا يمكن محاربة تيار العقل بمنهج نقلي خالص تجاوزته العملية التاريخية. لقد تمّ التعبير عن تيار العقل من خلال مدرسة أهل الرأي (الفقه) ومن ثمّ المعتزلة (علم الكلام) وصولاً إلى الفلسفة.

وتُمثل إشكالية العقل والنّص، حجرَ الزاوية في النّسق الكلاميّ، وليس أدلّ على هذا، من تأرجح المذاهب الكلاميّة بين هذا وذاك. حيث انطلقت كل فرقة كلامية تحدد مكانة العقل وغاياته داخل نسقها، ما جعل الأفكار تتواتر وتتصارع داخل المذهب الواحد أحياناً، ونتج عنها استخدام وسائل مختلفة ليتمّ الاتساق بينهما، مثل ضرورة الأخذ بالتأويل (1) عند بعضهم، ليتم الاتساق بين النّظر العقلي والنّص الشرعي، وقياس الغائب على الشاهد الذي طبقه علماء الكلام ووقع منهم من وقع في أخطاء في ميدان التطبيق، وبخاصة أن هذا القياس في أصله قياس أصولي.

(1)– لم يظهر النشاط التأويلي للقرآن إلا عندما ظهر تيار التفسير بالرأي في مقابل التفسير السلفي با لماثور. وبدا أن التيارين كليهما يؤولان إلى أفق لُغوي تنقسم الدلالة فيه إلى وضع حقيقي ووضع مجازي، وهو انقسام يحيل إلى جملة من المعايير والقواعد التي ينبغي أخذها في الحسبان عند تبين المعنى في سياقه الحرفي وفي سياقه المجازي.

وانتهت المعتزلة إلى قاعدة أساسية في معرفة الله، وهي أنه أول ما أوجب الله علينا هو النّظر المؤدي إلى معرفته تعالى. وهنا يفترق عنهم الأشاعرة الذين أوجبوا هذا النّظر بعد المعرفة السمعية، بمعنى أنه ليس على المكلف أي واجب لأداء النّظر إلا بعد أن يبعث الله الرسول بمعجزاته ، فيجب على المكلف عندئذ النّظر في هذه المعجزة ثمّ تحصل له المعرفة بالله بالضرورة.

إذا كان الأشعري(ت330هـ) لم يتعرض إلى العلاقة بين العقل والنقل إلا بشكل خافت ومجمل، فإن التطورات التي حملها أتباعه من بعده كانت مُثقلَة بهذه العلاقة. فقد أخذت بالظهور والاتساع شيئاً فشيئاً، منذ القرن الرابع وحتى نهاية القرن السادس الهجري. فمن المعروف أن منشأ التنظير لعلاقة العقل بالنقل وسط الأشاعرة قد بدأ عند الباقلاني (ت429هـ) الذي يعدّ مؤسِّساً لطريقة المتقدمين؛ لوضعه بعض الأسس التي تحكم هذه العلاقة، فقد وضع قاعدة (بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول) كمنهج يجعل من الأدلة ذاتها واجبة ، إذ تفرض القاعدة على المستدِّل أن يذعنَ وينصاعَ إلى الأدلة لمّا تفضي إليه من نتائجَ محددة، لذلك وُضعت المقدِّمات العقلية الثابتة كأساس لبناء النقل والعقل، فهي مقدمات، وإن كانت ذات طابع وجودي، غرضها إثبات الخالق تعالى، من قبيل إثبات الجوهر الفرد، والخلاء والعرض، لا يقوم بالعرض، ولا يُبْقِى زمانين متتاليين، وما إلى ذلك من الاعتبارات الوجوديّة، أو هي موضوعة من أجل تقرير أمور لا يتمّ الشرع إلا بها، سيما في ما يتعلق بإثبات القدرة الإلهية، لكن العملية لم تتوقف عند هذا الحد.

فقد جاء الغزالي (450–505هـ) فأسس النهج المسمى بطريقة المتأخرين، حيث أدخل (المنطق) كعنصر هام يقضي به على المنهج السابق. إذ بهذه الطريقة الجديدة يصبح من المنطقي خطأ قاعدة إبطال المدلول ببطلان الدليل، أو أن بطلان الدليل لا يؤذن ببطلان المدلول، فمن الممكن إثبات المدلول بدليل آخر غيره، وكذا من الممكن أن يكون المدلول غير خاضع للدليل أصلاً. فمن الناحية

المنطقية ليس من الضروري أن يتوقف وجود المدلول على وجود الدليل أو الدال عليه، فقد يكون المدلول شيئاً في ذاته لا يُنال بالدليل مهما كان نوعه، وبالتالي لا يصح نفيه لمجرد عدم إمكان الاستدلال عليه. بل من المسلمّات ما لا تخضع للأدلة، وقد كان الغزالي على وعي بذلك عندما قرر بأن" من ظنَّ أنَّ الكشفَ موقوفُ على الأدلة المحررة فقد ضيّق رحمةَ الله تعالى الواسعة." (1)

وتطرف بعضهم بالدّعوة إلى التخلي عن حجّة العقل، وقد يكون الأمر عائداً إلى تطرف ممثلي المذهب العقلاني سواء أكان ذلك في القديم أم في الحديث. والمذهب العقلاني لم يظهر تطرفه إلا في صورة الفكر الاعتزالي لمّا أراد أن يفرض بعض أفكاره ومعتقداته على غيره بالقوة وكان وقتئذٍ يمثل الفكر الرسمي للدولة العباسية، ومن هنا ربمّا ولد التيار المعارض للعقل، وأخذ ينمو ويزداد نمواً إلى أن وصل إلى حدٍّ رفض كل ماله صلة بالعقل حديثاً في مقابل التطرف العقلاني المعارض للفكر الإسلامي.

ولعلّ شدة التطرف وتزايدها بين الفريقين ولدت دعوى معاداة الإسلام وفلسفته للعقل والعقلانية. فهل فعلاً الإسلام وفلسفته الأصيلة معاديان للعقل ؟ أم دعوى هؤلاء هي مجرد دعوى باطلة.؟ من هنا أتت فكرةُ هذا البحثُ ليسهمَ في إبطال دعوى من يدّعى عدم الحاجة إلى إعمال العقل أو عدم الحاجة إلى الدين والاعتماد على العقل كمصدر للمعرفة دون سواه بدعوى أن العقل والنقل لا يمكن أن يلتقيا، متخذاً من فرقة الأشاعرة نموذجاً.

فإذا كانت العقلانية تعنى العقل كسلطة وكمصدر للمعرفة، وكأسلوب ومنهج في التفكير قائماً على مبادئ العقل وحدها، فقد جاء البحث ليكشف عن مكانة العقل كسلطة معرفية إلى جانب النقل في الفكر الإسلامي بوجه عام والأشعري منه بوجه خاص. وهل أن العقل يقبل بالنقل إلى جانبه كسلطة،

([1])- أبو حامد محمد الغزالي، المنقذ من الضلال ، تحقيق محمود بيجو، دار التقوى ، دمشق، ط2 ، ص36.

وكمصدر للمعرفة أم لا ؟ وإذا كان الجواب بالإثبات فما هي هذه المكانة التي يخصصها النقل للعقل.؟

هذه هي أهم التساؤلات التي يريد أن يعالجها البحث ويسعى كي يجد لها جواباً شافياً مقنِعاً بالأدلة والبراهين؛ لأنّه –كما هو معلوم–، أن العقل مناط التكليف وميزة الإنسان لقدرته على الإدراك والتمييز والتمحيص ، وتستند أهمية العقل في ربطه بالنّص الديني، لاضطلاعه بمهمة مركزية، والتي تنحصر في استحصال المعنى من النّص واستقراء الجزئيات والأدلة التفصيلة للأحكام فضلاً عن استنباط الأصول الكلية والقواعد التي تحقق المصالح العامة، وتمثل المقاصد العامة للشرع.

لقد ظن بعضهم أن بين الشريعة المنزلة وعطاء العقل تناقضاً وتعادياً يدعوان الإنسان إلى مرافقة العقل، ومفارقة الشريعة وكانت هذه المقولة أساس الصرع الذي احتدم بين الاتجاهات والفرق الإسلامية. إن ذلك واقع يشهد التاريخ والحال به وهو ما دعا كثير من أهل النّظر العقلي والإسلامي فاتجهوا إلى تقصّي أسبابه على مستوى النّظر والعمل والوقوف على الإشكالات المترتبة على هذه الأسباب كابن تيمية (661–728هـ) وابن القيم (691–751هـ) وتصنيفاتهما في الموضوع خير دليل على ذلك.

وما ساعد على تصاعد الخلاف فيما بين أهل النّظر العقلي الإسلامي، التفاوت في مستويات الفهم والتأويل والتطبيق للمناهج المتعلقة بالمسائل المستجدة، فولّد جملة من الخلافات النظرية والعملية على الصعيد السياسي والديني، وخلّف –أيضاً– من المواقف المتباعدة التي وصلت إلى حدِّ التباين، بل إلى التّطاحن والفُرقة في بعض المراحل التاريخية. تحت شعار حرية الرأي ، والبحث عن الحقيقة.

وحرية الرأي كانت ولا تزال قاعدة الفكر الإسلامي، وأمل المسلمين إلى تحقيق مزيد من التقدم والحضارة ، ولكن إساءة استخدام هذه الحرية أدت في

بعض الأحيان إلى نتائج عكسية تماماً، فقد أضعفت تماسك عناصر الأمة وفكّكت وحدتها وبات المسلمون فرقاً وجماعات يكفِّر بعضها بعضاً في بعض الأحيان.

ومن الحقائق التاريخية المعروفة أن معظم النتاج الفكري للمتكلمين المسلمين قد تعرض للتلف، بقصد وتعمد بعد نكبة المعتزلة على عهد المتوكل ثمّ على عهد المقتدر بالله. لذلك لا تتوفر مصادر تاريخية كثيرة للمتكلمين الأوائل وبخاصة المعتزلة، غير ما خلفه القاضي عبد الجبار (ت415هـ) في موسوعته (المغني في أبواب العدل والتوحيد) و (شرح الأصول الخمسة) وكتاب الخياط (الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد) وهو مصدر مهم لأفكار النظّام وآرائه وما حفظه لنا التاريخ من تراثهم الفكري روته لنا كُتب خصومهم وكُتب الفرق. أما بخصوص الأشاعرة فقد حفظ التاريخ قدراً أكبر من كتبهم وأهمها كتاب (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، وكتاب الإبانة واللُمع) لأبي الحسن الأشعري ، وكتاب (تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل والإنصاف) للباقلاني وكتاب (الشامل في أصول الدين والإرشاد) لأبي المعالي عبد الملك الجويني(419–478هـ). كما قدم الشهرستاني(479–548هـ) في كتابه (نهاية الإقدام في علم الكلام) تلخيصاً لمسائل كثيرة في الكلام. وكثير من تراث المتكلمين ذكرته كتب مخالفيهم وناقديهم ككتاب عبد القاهر البغدادي(ت429هـ) (الفَرق بين الِفرق). كما يمكن التعويل كثيراً على كتب أبي حامد الغزالي وخاصة كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد) ففيه كان الغزالي يتكلم بلسان المتكلمين ويفكر بعقلهم.

اعتقد أن هذه الدراسة لها أهميتها في تجلية بعض الحقائق ووضع الأمور في نصابها في أذهان الناس، حيث يصوِّر الخلاف في موضع ليس فيه خلاف، وينسب لهذا الفريق أو ذاك رأياً في قضية من القضايا، قد لا يكون له في حقيقة الأمر وجود من الناحية العملية؛ لأن الحقيقة طمست وسط الخضم الهائل من الألفاظ والاصطلاحات، التي استعملها المتخاصمون في النزاع الذي يكون في كثير الأحيان عقيماً لا ينتج له أي أثر عملي، أو أثر ضئيل ، لا يتفق مع